# أشكاليات تاريخ فلسطين القديم

د.محمد العلامي◆


## ملخص

من الإشكاليات التي تواجه الباحث في دراسة تاريخ فلسطين القديم هي إشكالية المصادر فعندما بدأت الحفريات الأثرية في فلسطين، كان الآثاريون التوراتيون يفسرون المكتشفات الأثرية وفقا للمعرفة المستمدة من العهد القديم، وكتابات جوزيفوس فيلافي، وتطبيقها على المواقع الفلسطينية، وعالج هذا البحث مسألة مهمة وهي: هل العهد القديم وكتابات جوزيفوس فيلافي تعدان مصدرا موثوقاً بهما في معرفة تاريخ فلسطين القديم؟



**Problems of Ancient History of Palestine**

**Abstract**

One of the problems facing the researcher in the study of ancient history of Palestine is sources when archaeological excavations began in Palestine, The Biblical interpret the archaeological findings according to the knowledge derived from the old Testament and the writings of Josephus and applied them to the Palestinian positions. This research deals with this issue : Are the Old Testament and the writings of Josephus Flavius reliable and confident sources of knowledge of the ancient history of Palestine?


## المقدمة

تعد مشكلة المصادر التاريخية الخاصة بتاريخ فلسطين القديم من المشكلات الكأداء التي تواجه الباحث في هذه الحقبة،فهي بالإضافة إلى كونها متعددة ومتنوعة وأنها وصلت إلينا في مراحل زمنية متباينة،فهي تكاد تنحصر دراستها في القصص التي وردت في التوراة كقصة داوود وسليمان ، وفي الروايات، إضافة إلى التنقيبات الأثرية. فالمصادر القصصية والروايات ( المؤلفات الأدبية، ومؤلفات المؤرخين القدماء) لا تخبرنا عن الحقائق التاريخية، وإنما كيف فكر هؤلاء المؤلفون في تناول الحدث التاريخي أو كيف فكر المجتمع أو الفئة التي ينتمي إليها المؤلف.

◆ جامعة الخليل – فلسطين .

وبناء على ما تقدم فإن علماء الآثار التوراتيين يعتمدون في تفسيرهم للمكتشفات الأثرية في فلسطين التي بدأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على نصوص العهد القديم، وكتابات جوزيفوس فيلافي ،وحذا حذوهم كتاب غربيون[١]،حيث عدوا تاريخ فلسطين كأنه تاريخ اليهود فقط متجاهلين تاريخ الشعوب الأخرى، أو كما ذكر بعض الباحثين[٢] تم اعتقال التاريخ الفلسطيني في بوتقة العهد القديم، أو إسكات التاريخ الفلسطيني، كما جاء على لسان كيث وايتلام[٣]. وعلينا في هذا البحث أن نسبر غور إشكالية العهد القديم وكتابات جوزيفوس فيلافي، وهل يعدان مصدرين موثوقين في دراسة تاريخ فلسطين القديم؟ وللإجابة عن هذا السؤال لا بد أولا من التعرف إلى طبيعة العهد القديم وكتابات جوزيفوس فيلافي، ومحتواهما، وموقف المدارس التاريخية من العهد القديم.

## العهد القديم، تركيبته ومحتواه

يتكون العهد القديم في صيغته النهائية من ثلاثة أجزاء: الجزء الأول: ( كتب موسى الخمسة) أو القانون، والجزء الثاني :( الأنبياء)، والجزء الثالث: ( الكتابات)، ويحتوي كل جزء على مؤلفات متنوعة، دونت في أزمنة مختلفة.

وتعد الكتب الخمسة نواة العهد القديم ( التوراة) وهي :التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، والتثنية وتشتمل على قوانين دينية واجتماعية وتشريعات، فنجد في سفر التكوين قصصا عن خلق الكون[٤] آدم وحواء[٥]، وسقوط الإنسان[٦]، وقايين وهابيل[٧]، ومن آدم إلى نوح[٨]، وميثاق الرب مع نوح[٩]،... وغيرها. أما سفر الخروج فيحتوي على عبودية الإسرائيليين[١٠]،ومولد موسى[١١]، وهجرة موسى إلى مديان[١٢]،...وكذلك يحتوي سفر

---

[1] Albright, W,F. The Archaeology of Palestine.Harmondsworth 1949.;Aharoni, Y. The Land of the Bible. A Historical Geograph. Neukirchenvluyn ,1983.;Mendenhall,G.E "The Hebrew Conquest of the Palestine . B A 25 ,1962.: Miller, L. M. A History of Ancient Israel.and Judah. London. 1986.; Wright, G.E. Biblical Archaeology. Philadelphia. 1962.

[2] Walid, Khaldi. The west and Jerusalem. London1996, p22.

[3] Keith Whitelam. The Invetion of Ancient Israel, The Silencing of Palestinian History.London: Melisende, 1998. p,11.

[٤] التكوين (١:١ _ ٣١، ٢:١_ ٣)

[٥] التكوين ( ٢: ٤_ ٢٥).

[٦] التكوين ( الاصحاح ٣).

[٧] التكوين ( ٤: ١_ ٢٦).

[٨] التكوين ( الاصحاح ٦_ ٧،٥، ٨).

[٩] التكوين( ٩: ١_ ٢٩).

[١٠] الخروج (الاصحاح ١).

[١١] الخروج ( ٢: ١_١٠).

[١٢] الخروج (٢: ١١_ ٢٥).

اللاويين على كيفية تقديم قرابين المحرقة[١٣] والحبوب[١٤] والخطيئة[١٥] والمعصية[١٦] ... وغيرها، ويتضمن سفر العدد مجموعة من الموضوعات منها: تعداد للأنساب[١٧] وارتحال بني إسرائيل[١٨] من برية سيناء، والجواسيس وأرض كنعان[١٩]... وغيرها، ويضم سفر التثنية الموضوعات الآتية:أمر الرب بترك حوريب[٢٠]، والتيه في الصحراء[٢١]، وهزيمة سيحون ملك حشبون الأموري[٢٢]، وهزيمة عوج ملك باشان[٢٣]، وتقسيم الأرض[٢٤]، ومنع موسى من عبور الأردن[٢٥]... وغيرها.

وتتصف " الكتب الخمسة" بوحدة الموضوع، ويمكن إبراز ثلاث فئات في الأجزاء القصصية وهي: الأولى تسمى القوانين الكهنوتية، التي تتصف بخصائص من حيث لغتها وأسلوبها، وعمل بدقة جدول زمني ( حيث إن نقطة البداية من خلق العالم). وقد وضعت القوانين الكهنوتية من قبل الكهنة بعد سقوط المملكة الشمالية، أو بعبارة أدق بعد سقوط المملكة الجنوبية في القرن السادس ق.م. وتحتوي على قصص وأناشيد وأحاديث تعود إلى أزمنة أقدم، وتتحدث الفئة الثانية عن يهوة حيث بدأت تتشكل عنه التصورات في يهودا خلال القرن العاشر – التاسع ق.م.. أما الفئة الثالثة فتتحدث عن الرب "إلوهيم" حيث تشكل في المملكة الشمالية في القرن التاسع ق.م. وكذلك تحتوي على أساطير وقصص ومعلومات أخرى أكثر قدما.

ويعد كتاب العهد القديم من القوانين الأكثر قدما في " الكتب الخمسة" وهو جزء من سفر الخروج[٢٦] الذي يدافع عن الملكية، وشرعية العبيد، وحقوق الزوج والأب والأسرة، وتتشابه هذه القوانين مع قوانين بلاد النهرين في النصف الأول من الألف الثانية ق.م[٢٧]. حيث يغلب عليها مبادئ بدائية مثل ( العين بالعين) ويمكن إرجاع تأريخ

---

[١٣] اللاويين ( الإصحاح ١)
[١٤] اللاويين (الاصحاح ٢).
[١٥] اللاويين ( الإصحاح ٤، ٥: ١_ ١٣).
[١٦] اللاويين ( ٥: ١٤ _ ١٩، ٦: ١_٢).
[١٧] العدد ( الاصحاح ١).
[١٨] العدد (١٠: ١١_ ٣٦).
[١٩] العدد ( ١٣: ١_ ٢٥).
[٢٠] التثنية ( ١: ١_ ١٨).
[٢١] التثنية( ٢: ١_ ٢٣).
[٢٢] التثنية ( ٢: ٢٤_ ٣٧).
[٢٣] التثنية( ٣: ١_ ١١).
[٢٤] التثنية ( ٣: ١٢_ ٢٠).
[٢٥] التثنية( ٣: ٢١_ ٢٩).
[٢٦] ( نهاية الإصحاح ٢١_ ٢٣).
[٢٧] ينظر إلى قوانين حمورابي في كتاب برهان الدين دلو،حضارة مصر والعراق،بيروت،١٩٨٩، ص ٤١٩_ ٤٤٣.

( كتاب العهد القديم) افتراضيا إلى القرن الحادي عشر والعاشر ق.م. كما توجد إرشادات أخلاقية في " الكتب الخمسة"، ويعد أقدمها ما هو موجود في سفر الخروج[٢٨]. ولعل إيجاز الصيغ وحتميتها وغياب تسجيل دوافع وظروف الجريمة قد أدى إلى أن يغلب عليها مبدأ ( العين بالعين)، حيث يشير هذا النوع من الوصايا العشر في أنه كان متأصلا بين العشائر القبلية ما قبل الحكم الملكي، ويرجع بالطبع إلى فترة أحدث _ أي خلال الألف الأولى ق.م وليس إلى فترة خروج الأسباط من مصر وتجوالهم في صحراء سيناء بقيادة موسى، ويوجد نوع آخر من الوصايا العشر في سفر التثنية[٢٩]، وفيه تشريعات دينية مقدسة، تتخلله إدانة تعدد الأرباب والاعتراف بيهوة بأنه الإله الوحيد، ولدرجة ما أن مضمون سفر التثنية يتداعى مع مضمون الإصلاح الديني ليوشيا في القرن السابع ق.م،فقام ببناء المعابد، وتطهير البلاد من الوثنية، حيث رفع من المعابد جميع الأدوات والإشارات الخاصة بعبادة بعل، وقد وضع هذا السفر في القرن السابع ق.م. بالرغم من أنه يحتوي على معلومات أكثر قدما، وتسمى القوانين الأخيرة ( القوانين المقدسة) من سفر اللاويين[٣٠]، حيث يحتوي على إرشادات طقسية _ أخلاقية ووضع من قبل الكهنة أثناء السبي البابلي خلال القرنيين السادس والخامس ق.م.حيث بدأت عملية تجميع هذه المواد المتنوعة في القرن الثامن ق.م. وانتهت ما بين القرنين السادس والرابع ق.م.واتخذت ( الكتب الخمسة) شكلها النهائي ككتاب مقدس وكقوانين معيارية لجميع الذين يؤمنون بيهوة وهم اليهود.

ويتكون الجزء الثاني من العهد القديم ( الأنبياء) من قسمين، هما: الأنبياء الأوائل،والأنبياء المتأخرون ويشمل خمسة عشر نبيا. أما قسم الأنبياء الأوائل فيضم سلسلة مؤلفات نثرية، تتحدث عن تاريخ اليهود منذ القرن الثالث عشر و الثاني عشر ق.م وحتى انهيار مملكة يهودا في ٥٨٦ ق.م. وأسفار هذه السلسة هي يشوع[٣١]، والقضاة[٣٢]، وصموئيل الأول[٣٣]، والثاني[٣٤]، وسفر الملوك الأول[٣٥]، والثاني[٣٦]، وأخبار الأيام الأول[٣٧]، والثاني[٣٨]. ونجد فيها حكايات شفوية، وأخبار الغزوات الحربية للأسباط

---

[٢٨] ( ١٣: ٣ _ ٦، ٣٤: ١٠ _ ٣٥).
[٢٩] التثنية ( ٥: ٦ _ ٢٢).
[٣٠] اللاويين ( الإصحاح ١٨_ ٢٠).
[٣١] ( الإصحاح ١_٢٤).
[٣٢] (الإصحاح ١_ ٢١).
[٣٣] (الإصحاح ١_ ٣١).
[٣٤] (الإصحاح ١_ ٢٤).
[٣٥] (الإصحاح ١_ ٢٢).
[٣٦] ( الإصحاح ١_ ٢٥).
[٣٧] ( الإصحاح ١_ ٢٩).
[٣٨] ( الإصحاح ١_ ٣٦).

ورؤسائهم، ومعلومات عن بناء معابد متعددة، وكذلك فيها مقاطع من شعر ملحمي (أنشودة دبورة[٣٩] القرن الثاني عشر ق.م)، وحكايات فلكلورية، وسلسلة روايات عن معبد شيلو، وأعمال سليمان المعمارية، وكتابات من قبل كتبة القصر والمعبد، ونماذج من نثر فني، وقوائم الموظفين،فهذه سلسلة المؤلفات التاريخية وضعت بتأثير من حركة الأنبياء في القرن السابع والنصف الأول من القرن السادس ق.م.

ومن المعلوم أنه خلال الفترة الممتدة بين القرنين الثامن والسادس ق .م تداخلت مجموعات كثيرة من الكنعانيين مع العبرانيين وتم استيعاب لغتهم، لذا عدت لغة العهد القديم لغة كنعانية.

وقد أدى انهيار المملكة الجنوبية، والسبي البابلي لليهود في القرن السادس ق.م. ونشوء صيغ جديدة للدولة، إلى إعادة النظر بما هو موجود في الأنبياء الأوائل وهو المصير التاريخي للشعب. وبناء عليه، وفي حدود القرن الخامس _ الرابع ق.م. ظهرت أسفار عزرا[٤٠]، ونحميا[٤١]، اللذان يتحدثان عن عودة اليهود من السبي البابلي.

أما الجزء الثالث من العهد القديم فهو الكتابات التي وضعت في العصر الفارسي ( القرنين الخامس والرابع ق.م) والعصر الهلينستي ( القرن الرابع _ الثاني ق.م) ويشمل أسفار الأمثال[٤٢]، وأيوب[٤٣]، ونشيد الإنشاد[٤٤]، وأستير[٤٥]، ودانيال[٤٦]، والجامعة[٤٧]، وأشعياء[٤٨]، وسفر أيوب[٤٩]، وهو شعر يصف اختبار شخصي تقي من قبل الرب يهوة، ونشيد الإنشاد (وفيه مجموعة من الأناشيد الغزلية وتشابه الأناشيد المصرية القديمة، والأمثال (وهي أحاديث إيقاعية عن الحياة) ،ونجد في أستير وأشعياء أخبار لها خلفية تاريخية.

ويضم سفر دانيال مجموعة من الروائع التاريخية وقصص الأنبياء، التي ترتبط لدرجة ما بالبابليين والآراميين، ومن المحتمل مع آداب إيرانية قديمة، وتدخل المزامير، ومجموعها مائة وخمسون مزمورا ضمن الجزء الثالث من الكتابات ، وهي أناشيد للعبادة. وأغان حزينة، ظهرت من قبل مغنين في فترة ما قبل السبي البابلي، وفيها

٣٩ القضاة ٥: ١٢_ ١٨.
٤٠ ( الإصحاح ١ _ ١٠).
٤١ ( الإصحاح ١_ ١٣).
٤٢ (الإصحاح ١_ ٣١).
٤٣ ( الإصحاح ١_ ٤٢).
٤٤ (الإصحاح ١_ ٨).
٤٥ (الإصحاح ١_١٠).
٤٦ (الإصحاح ١_ ٤٨).
٤٧ (الإصحاح ١_ ١٢).
٤٨ (الإصحاح ١_ ٦٦).
٤٩ (الإصحاح ١_ ٤٢).

يعبر واضع المزامير عن عواطف رجل تائب يطلب الرحمة[٥٠]. وبتحدث سفر مراثي أرميا (وهي خمسة إصحاحات) عن انهيار المملكة الجنوبية في ٥٨٦ ق.م. وكذلك لم تدخل مؤلفات الابوكريفا[٥١] في العهد القديم، وبدأ الشكل النهائي للعهد القديم وتسلسله في النصف الأول من الألف الأولى ق.م. وانتهى في القرن الأول الميلادي.
وهكذا وضعت مؤلفات العهد القديم على مدى امتداد ألف سنة في ظل ظروف تاريخية متغيرة ويتميز بمحتواه المتعدد الجوانب، ويغلب عليه موضوع واحد وهو التاريخ.
ونجد في العهد القديم لوحة منسقة تبدأ من خلق العالم والإنسان ( إذا استثنينا سفر المكابيين)[٥٢] وحتى قدوم الرومان إلى فلسطين في القرن الأول ق,م. وتتمحور حول تاريخ اليهود. ويسيطر على تلك الروايات فكرة العهد. ولا يعد التصورات عن " العهد" أي يعني ( الاتفاق) بين الرب ومجموعة من البشر صفة استثنائية لليهويين، فنجد تصورات مشابهة عند شعوب قديمة أخرى ولكن الشيء الجديد في العهد القديم وخاصة في حركة الأنبياء عن العهد هي : الاعتراف بالدور الحيوي للناس في فعالية الاتفاق مع الرب، والتصورات عن الماضي والحاضر والمستقبل للشعب هي دورية ومتتالية في العصور المختلفة، ومضمونها يتناسب مع العهد بين يهوة وجماعة محددة من الناس، كما وجد العهد عند القمرانيين[٥٣]، وانتقل إلى المسيحيين، فالعهد للمسيحيين الموجود في ( الكتب الخمس) و (الأنبياء) و ( الكتابات) كان قديما. وبما أن الاتفاق أصبح قديما، لذا استبدله الرب بعهد جديد للمسيحيين، لكن العهد القديم لم يفقد قدسيته بالنسبة للمسيحيين.

**المدارس التاريخية والعهد القديم**

بقيت التوراة حتى الثلث الأخير من القرن العشرين مصدراً رئيساً لدراسة تاريخ فلسطين القديم ، لكن نظراً لإجراء العديد من الحفريات الأثرية في مناطق مختلفة من بلاد الشام، ومصر، وبلاد النهرين، تراجعت أهميتها لدى الباحثين. ومن هنا تباينت الآراء بين هؤلاء الدارسين لتاريخ فلسطين القديم، وتوزعت على مدارس

---

٥٠ المزامير (٣، ٣٨، ٢٣).
٥١ وهي طوبيت، يوديف، وسفر المكابيين الأول والثاني وغيرهما.
٥٢ سفر المكابيين هوالسفر الوحيد الذي يستحق الانتباه ، وقد كتب باللغة العبرية أو الآرامية، وهو من المصادر المهمة، حيث يبدأ مؤلفه من الإسكندر الكبير وحتى تسرب الهلينية في فلسطين، ويوصلنا برواياته حتى عام ١٣٥م، وآراء مؤلف سفر المكابيين مهمة، لأنه يروي الأحداث بعيدا عن البرغماتية الدينية للمؤرخين السابقين فيفسر الأحداث بأسباب أرضية، وهو موال للأسرة المكابية، ويتعامل مع القوانين بدون تعصب وحماسة.
٥٣ العلامي .م " الحركات الدينية والاجتماعية في فلسطين من القرن الثاني ق.م. إلى القرن الأول الميلادي"، مجلة جامعة الخليل، م٢، العدد الثاني، ٢٠٠٦، ص ٢ _ ١١.

مختلفة،فالمدرسة الألمانية المرتبطة في نشأتها بالكنيسة البروتستانتية نفت كل الروايات عن الآباء ( إبراهيم، إسحق، ويعقوب)، ويعارض ذلك مدرسة المؤرخين الأنجلو _ أمريكية، وبعض المؤرخين الإسرائيليين، بالرغم من اعترافهم بالتدوين المتأخر لتلك الروايات، إلا أنهم يثقون بالأخبار الرئيسة في هذه الروايات، ونقدم أدناه لمحة موجزة عن كل مدرسة، وعلى النحو التالي:

١. المدرسة الألمانية ويمثلها المؤرخ آلت[٥٤] نفى تاريخية الروايات عن الآباء، وأصر على تسلل سلمي تدريجي لتلك القبائل الرعوية إلى فلسطين.

٢. يعتقد المؤرخ الإسرائيلي ملامات[٥٥]، أن الروايات عن الآباء صحيحة، حيث إنها تبين طبيعة هذه القبائل الغازية.

٣. عد المؤرخ الإنجليزي وولي[٥٦]،أن هناك إمكانية من خلال عرض وتفسير تاريخ الشرق القديم أن الآباء التوراتيين آباء حقيقيون.

٤. ظهر اتجاه جديد ينادي بفصل الروايات التوراتية عن تاريخ فلسطين القديم، ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه توماس تومسون[57]، ونيلز بيتر لمكه[٥٨]، كيث وايتلام[٥٩]،فيليب ديفز[٦٠] وجيوفاني جابريني[٦١].

وعلى أي حال فأن العهد القديم يزودنا بروايات مترابطة عن بعض الأحداث، ولكنها روايات شفوية دونت بعد ٥٠٠_ ٤٠٠ عام أي من ١٢_ ١٥ جيلا بقيت فيها دون كتابة. وقد خضعت هذه الروايات إلى التحيز الذي يلبي رغبات أيديولوجية كثيرة متأخرة، وفي علاقتها مع الصراع الأيديولوجي، إذ لم يسجلها معاصرو هذه الحوادث، مما يجعلنا نتحفظ على قبول هذه الروايات.واعتقد أنه يجب على الباحث إلقاء نظرة فاحصة تمكنه من مقارنة الرواية التوراتية من خلال المصادر الأثرية والكتابات القديمة والأدلة المعاصرة للحدث، علما بأن قبول الروايات التوراتية بدون تلك المصادر لا يعد موضوعيا.

54 Alt,A, kleins schriften.I_III, Munchen,1959.
55 Malamat B, Mari and Bible, Jerusalem. 1973.
56 Woolly, C, L, A Forgotten Kingdom. Harmondsworth. 1953.
57 Thompsom,L,T. Early History of the Israelite People from the written and Archaeological Sources (Brill, 1992).
58 Peter, N.Sheffield: Israel: A New History of the Israelite Society (Sheffield Ancient Constructing the past,Interpreting: Academic Press, 1995): The Archaeology of Israel (Sheffield Academic Press, 1997.
59 Keith Whitelam. The Invetion of Ancient Israel,The Silencing of Palestinian History Londo:Melisende,1998..
60 Davies, R,P. In Search of Ancient Israe.( Sheffield: Sheffield Academic Press), 1992.
61 Gabrini, G. History and Ideology in Ancient. Israel. London: SCM, 1988.

**كتابات جوزيفوس فيلافي**

ولد جوزيفوس فيلافي في القدس عام ٣٧م وتوفي في روما عام ١٠٠م، وهو أحد المؤرخين القدماء، الذي انحدر من عائلة يهودية كهنوتية، وكان قائدا شارك في الحرب اليهودية (٦٦_ ٧٣م)، وفي عام ٦٧م وقع أسيرا في أيدي الرومان، وحرره فسبيسيان ومنحه لقب عائلته فيلافي،واسمه الحقيقي جوزيفوس بن متتيا،وقد شارك في الحرب اليهودية ضد شعبه[٦٢].

كتب جوزيفوس فيلافي باللغة اليونانية ثلاثة مؤلفات، كان مؤلفه الأول بعنوان " أخبار اليهودية القديمة" الذي ظهر في ٩٣_ ٩٤م، ويحتوي على مقدمة وعشرين كتابا[٦٣]، أما المؤلف الثاني "الحرب اليهودية" فيضم مقدمة وسبعة كتب[٦٤]، فقد أنهى كتابته في عام ٧٩م، وفي نهاية حياته كتب مؤلفه الأخير " ضد أبيون"[٦٥] وهذا الكتاب ليس له علاقة بتاريخ فلسطين القديم فهو خارج عن نطاق هذا البحث.

---

62 See H. St. John Thackeray, *Josephus* (1929, rev. ed. 1968); T. Rajak, *Josephus* (1983); L. H. Feldman, *Josephus and Modern Scholarship* (1984); L. Feldman and H. Gohei, ed., *Josephus, Judaism, and Christianity* (1987) ;Josephus ,Flavius."Wars of Jews",p 3.

٦٣ الكتاب الأول : من الخليقة إلى وفاة إسحق، الكتاب الثاني: من وفاة إسحق إلى الخروج من مصر، الكتاب الثالث: من الخروج من مصر إلى نبذ الجيل، الكتاب الرابع: من نبذ الجيل إلى وفاة موسى، الكتاب الخامس: من وفاة موسى إلى وفاة ايلاى، الكتاب السادس: من وفاة إيلاى إلى وفاة شاؤل، الكتاب السابع: من وفاة شاؤل إلى وفاة داود، الكتاب الثامن: من وفاة داود إلى وفاة آخاب، الكتاب التاسع: من وفاة آخاب إلى عبودية القبائل العشر، الكتاب العاشر: من عبودية القبائل العشر إلى السنة الأولى لكورش، الكتاب الحادي عشر: من السنة الأولى لكورش إلى وفاة الإسكندر الكبير، الكتاب الثاني عشر: من وفاة الإسكندر الكبير إلى موت يهوذا المكابي، الكتاب الثالث عشر: من وفاة يهوذا المكابي إلى وفاة الملكة الكسندرا، الكتاب الرابع عشر: من وفاة الملكة الكسندرا إلى وفاة انطيوخس، الكتاب الخامس عشر: من وفاة أنطيوخس إلى انتهاء بناء المعبد على يد هيرود، الكتاب السادس عشر: من انتهاء بناء المعبد على يد هيرود إلى وفاة الكسندر وأرستوبولس، الكتاب السابع عشر: من وفاة الكسندر وارستوبولس إلى عقاب أرخلاوس، الكتاب الثامن عشر: من عقاب أرخلاوس إلى سبي اليهود على يد البابليين، الكتاب التاسع عشر: من سبي اليهود على يد البابليين إلى الحاكم الروماني فادوس، الكتاب العشرون: من الحاكم فادوس إلى فلورس.Book, I - XX

64 الكتاب الأول: من استيلاء أنطيوخس أبيفانس على القدس إلى وفاة هيرود الكبير، الكتاب الثاني: من وفاة هيرود الكبير إلى إرسال فسبيسيان حملة لإخضاع اليهود بواسطة نيرون، الكتاب الثالث: من قدوم فسبيسيان لإخضاع اليهود إلى سقوط جمالا، الكتاب الرابع: من سقوط جمالا إلى قدوم تيطس وحصاره للقدس، الكتاب الخامس: من قدوم تيطس لحصار القدس إلى التطرف الكبير الذي أدى إلىقلة عدد اليهود، الكتاب السادس: من الدمار الكبير الذي أدى إلى قلة عدد اليهود إلى سقوط القدس بيد تيطس، الكتاب السابع: من سقوط القدس بيد تيطس إلى الفتنة اليهودية في قورينا. Book, I – VII.

٦٥ عالم عاش في الإسكندرية أراد أن يوفق ما بين الفلسفة والديانة اليهودية. Book. I - II

يتحدث جوزيفوس فيلافي في مؤلفه " أخبار اليهودية القديمة" عن عقائد اليهود وتاريخهم منذ بدء الخليقة حتى سنة ٦٦م، وقد اعتمد في كتابة هذا المؤلف على التوراة وعلى الرواية اليهودية، وهذه لا نستطيع أن نتحقق من صحتها، وعلى كتاب سابقين مثل بيروسوس البابلي[٦٦]، ومانثيون المصري، وديوس الفينيقي، ومن الواضح أن جوزيفوس لم يعرف مؤلفات هؤلاء الكتاب مباشرة وإنما عرفها من خلال كاتب آخر هو نيقولاس الدمشقي، ومن ثم تصبح معلوماته من الدرجة الثالثة، وكذلك نجد ميله في هذا المؤلف إلى تمجيد اليهود بعامة وثقافتهم ودينهم بخاصة.

ونجده لا يتحرى الدقة العلمية في بعض الأحيان، ويظهر هذا بشكل واضح في مؤلفه "أخبار اليهودية القديمة" ففي أحد المواضيع نجد أن وصف إحدى المعارك مأخوذ من وصف معركة مذكورة في تاريخ المؤرخ اليوناني ثوكيديديس عن الحرب البلوبونسية (٥_٤ق.م) وفي موضع آخر نجد لمسات واضحة من إحدى فقرات المؤرخ هيردوتوس (٥ق.م) وفي موضع ثالث يستعير الكاتب وصفه من إحدى مسرحيات سوفكليس (٥ق.م)[٦٧]

ونستطيع أن نقسم ما جاء في مؤلفه " الحرب اليهودية" الذي شمل فترة طويلة من الزمن إلى موضعين، الأول[٦٨] تاريخ اليهود حتى الحرب اليهودية ضد الرومان عام ٦٦م والثاني[٦٩] الحرب اليهودية نفسها (٦٦_ ٧٠م)، ونجده في الموضوع الأول اعتمد على مصادر تاريخية كما أنه يقدم تفسيراته لتلك الأحداث، واعتمد في الموضوع الثاني على تجربته الشخصية بصفته مشاركا في الحرب.

ولقد كرس جوزيفوس فيلافي الجزء الأكبر من مؤلفه " الحرب اليهودية" للأحداث التي سبقت الحرب اليهودية ٦٦_ ٧٣م[٧٠]،فأكثر من نصف هذا الكتاب عن تلك الفترة، ويبدأ في عرض الأحداث في فلسطين عشية الحرب المكابية ( ١٦٧_ ١٤٢ ق.م).

ويعرض جوزيفوس فيلافي في كتابه " الحرب اليهودية"[٧١] إلى خصائص ثلاث فرق فلسفية يهودية، التي تشكلت بعد القضاء على الحكم السلوقي في فلسطين، وهي الأسينيون الفريسيون والصدوقيون، ولا يخبرنا في هذا المؤلف عن انتمائه إلى أي من تلك الفرق،إلا أنه في كتابه " أخبار اليهودية القديمة"[٧٢] وفي سيرة حياته يشير إلى أن فرقة الفريسيين هي التي تعبر عن آمال الشعب ويؤيدها وهو ينتمي إلى هذه الفرقة.

---

[66] Book, I,III,V, VII, VIII,IX.
[67] Book, I,p,91-92.
[68] Book, I,II.
[69] Book, III,IV,V,VI,VII..
[70] Book, I,II,III..
[71] Book, 1.
[72] Book, I, V.

وحاول جوزيفوس أن يقوم بمهمة صعبة في كتابه " أخبار اليهودية القديمة"[٧٣] وهو سعيه إلى تمجيد القوة الحربية لروما وحكمة قوادها، وأن يقنع في ذلك الوقت القارئ بوطنيته، لكي يمحو عن نفسه تهمة الخيانة، ويجسد نفسه وكأنه بطل قومي لليهود.

وكانت القضية الرئيسة له هو إنقاذ تاريخ اليهود من النسيان، ففي مقدمة[٧٤] مؤلفه " الحرب اليهودية" أشار إلى أنه اعتمد على مؤرخين معاصرين له كتبوا مؤلفاتهم كإعادة كتابة للمؤلفين السابقين لهم، وقدموا شيئا جديدا لم يكن معروف سابقا. فأعمال المؤرخين الإغريق أحدثت عنده عدم رضا، فقد وجه عتابا لهم، بأنهم تهربوا في الكتابة عن الأحداث المعاصرة لهم، وأنهم مرة تلو الأخرى يرجعون إلى أحداث بعيدة عن تاريخهم، ومن المؤسف انه لا يذكر أسماء هؤلاء المؤرخين، ومن الصعب معرفة إلى من كان هذا العتاب موجها، فربما قصد ديونسيوس الهاليكارني صاحب كتاب " الآثار الرومانية" الذي كتبه في القرن الأول الميلادي، وضم تاريخ روما من أقدم العصور وحتى الحرب البونية الأولى(٢٦٤ _٢٤١ ق.م) أو ربما إلى ديودر الصقلي.

كانت الكتابات التاريخية في عصر الإمبراطورية الرومانية ذات طابع سياسي، ولا نتوقع أن نجد أخبارا موضوعية في كتابات المؤرخين المعاصرين للأحداث التي جرت خلال هذه الفترة فعلى سبيل المثال وصل من القرن الأول الميلادي القليل من المؤلفات التاريخية التي خرجت من وسط مواقف الشيوخ، مثل المؤرخ الروماني تاتست ( كان معاصرا لجوزيفوس فيلافي) الذي نشر مؤلفه بعد وفاة الإمبراطور دوميتيانوس لأن عهده اتسم بتضييق الخناق على الكتابات الأدبية عموما وعلى الكتابات التاريخية خصوصا.

ولا يقتصر مؤلف " الحرب اليهودية" [٧٥]على وصف تاريخ اليهود، وإنما ينقل القارئ من بلد إلى بلد آخر، ومن مدينة إلى مدينة أخرى، فيمكن أن نتعرف إلى القدس، وروما ،وسوريا ومصر، وعلى الأراضي التي عاشت عليها القبائل الجرمانية وغيرها. وعرض جوزيفوس الأوضاع والأحداث التي دارت في فلسطين خلال حياته على خلفية العالم المعروف له في ذلك الوقت، ويعير أهمية خاصة لأحداث التاريخ الروماني[٧٦]، حيث يورد معلومات جغرافية وطوبوغرافية لكثير من الأماكن والمدن، كما يسرد الكثير من الإبداعات الشعبية والأساطير.

وفي الحقيقة أن جوزيفوس فيلافي في مؤلفه " الحرب اليهودية" قد عاصر القسم الأخير من الأحداث التي دونها معاصروه مباشرة، أثناء حياته، إما مشاهدة أو سماعا، وكان في بعض الأحيان في موقف من يعرف بواطن الأمور بحكم مركزه الاجتماعي، فقد

---

73 BookXVII.
74 P,2-4.
75 Book I, II, VI, VII..
76 Book, VI, VII..

كان من أسرة أرستقراطية، أو بحكم مركزه الرسمي كمساعد لحاكم الجليل في ٦٦م. ويقول بعض الباحثين[٧٧] إن القسم السابق لحياته يمكن أن نعتمد على أخباره بصفته قريبا من الحدث المعاصر وبخاصة أنه كان من رجال الدين الذين يتصفون بالحرص على تسجيل الأخبار، التي تخصصهم. وبالرغم من ذلك فإن تفسيرات جوزيفوس فيلافي كانت ذاتية، وبالتالي يجب على الباحث والمختص أن يستخدم أسلوب المماثلة والمقارنة للتحاليل التاريخية، والمصادر المتنوعة، لكي نستطيع أن نتأكد من صحة ما رواه جوزيفوس.

**الخاتمة**

يتضح مما سبق أن علماء الآثار التوراتيين في دراستهم لتاريخ فلسطين القديم اعتمدوا على مصدرين هما : العهد القديم، وكتابات جوزيفوس فيلافي. كما أنه من الواضح أن المدارس التاريخية الغربية والأمريكية على الرغم من اختلاف منهجها البحثي إلا أنهم لم يخرجوا من تحت عباءة العهد القديم. فالباحثون المنتسبون للمدارس الألمانية والأنجلو_ أمريكية، ومعظم المؤرخين الإسرائيليين، لم يتخلوا عن العهد القديم، فجميعهم أرادوا أن يوفقوا بين روايات العهد القديم والمكتشفات الأثرية، لكن في أواخر سبعينيات القرن العشرين، ظهر اتجاه جديد ينادي بفصل روايات العهد القديم عن تاريخ فلسطين القديم، ويمثل هذا الاتجاه توماس طمسون.

وأما بخصوص روايات أسفار العهد القديم فإنها دونت بعد فترة طويلة من الأحداث، كما أنها خضعت إلى التحيز الذي يلبي رغبات أيديولوجية متأخرة، و لم يسجلها معاصرو هذه الحوادث، مما يجعلنا نتحفظ على قبول تلك الروايات، ولا يمكن القبول بها إذ لم يكن هناك دليل أثري  تاريخي يدعمها، أما مؤلفات جوزيفوس فيلافي فنستطيع أن نعتمد عليها في الفترة التي كان معاصرا لها فقط، بشرط أن نستخدم أسلوب المقارنة التاريخية بالمصادر الأخرى.

[77] Bentwich, Norman De Mattos, Josephus, Philadelphia. 1978.; Hadas – Lebel. Mireill. Flavius Josephus: eyewitness to Romes First – conquest of Judea, New York: Macmillan pub. Co ,Toronto: Maxwell Macmillan Canada; New York; Maxwell Macmillan International, 1993. Thackeray. J. Josephus, The Man and the Historian. New York. 1929 ( LectureV); ORourke, P.L. Give War a Chance. Vintag,1993.;Per Bilde. Flavius Josephus between Jerusalem and Rome: his Life, his Works and their Importance. Sheffield, 1998.: Shaye .J.D. Cohen. Josephus in Galilee and Rome. His Vita and development as a historian. Leiden, 1979 .

**قائمة المراجع**

1. .Aharoni, Y. The Land of the Bible. A Historical Geograph. Neukirchenvluyn ,1983.
2. Albright, W,F. The Archaeology of Palestine.Harmondsworth 1949
3. Alt,A, kleins schriften.I_III, Munchen,1959.
4.Bentwich, Norman De Mattos, Josephus, Philadelphia. 1978.
5.Davies, R. In Search of Ancient Israel (Sheffield :Sheffield Academic Press, 1992.
6.Feldman,L,H. *Josephus and Modern Scholarship* .1984.
7. Feldman,L. and H. Gohei, ed., *Josephus, Judaism, and Christianity* 1987.
.8.Gabrini, G, History and Ideology in Ancient Israel. London: SCM, 1988.
9.Hadas – Lebel. Mireill. Flavius Josephus: eyewitness to Romes First – conquest of Judea, New York: Macmillan pub. Co ,Toronto: Maxwell Macmillan Canada; New York; Maxwell Macmillan International, 1993.
10. Josephus ,Flavius. Work, translated by William Whistin (Grand Rapids, Mich.Associated Publisher and Authors, (n,d).” The Antiquities of Jews”. “ Wars of the Jews”.
11. Keith Whitelam. The Invetion of Ancient Israel, The Silencing of Palestinian History.London: Melisende, 1998.
12. Malamat B, Mari and Bible, Jerusalem. 1973.
13.Mendenhall,G.E "The Hebrew Conquest of the Palestine . B A 25 ,1962.
14. Miller, L. M. A History of Ancient Israel.and Judah. London. 1986.
15. ORourke, P.L. Give War a Chance. Vintag,1993.
16.Per Bilde. Flavius Josephus between Jerusalem and Rome: his Life, his Works and their Importance. Sheffield, 1998.
17.Peter, N. Sheffield : Israel: A New of the Israelite Society (Sheffield Ancient Constructing the past Academic press,1995).

18. Rajak.T, *Josephus* . 1983.
19. Shaye .J.D. Cohen. Josephus in Galilee and Rome. His Vita and development as a historian. Leiden, 1979.
20.Thompsom,L,T.Early History of the Isrelite People From the Written and Archaeological Sources Brill,1992.
21. Thackeray. J. Josephus, The Man and the Historian. New York. 1929 ( LectureV).
22. Thackeray. J. Josephus(1929,rv.ed.1968).
23. Walid, Khaldi. The west and Jerusalem. London1996.
24.Woolly, C, L, A Forgotten Kingdom. Harmondsworth. 1953.
25.Wright, G.E. Biblical Archaeology. Philadelphia. 1962.
26.Whitelam, W.K. The Invention of Ancient Israel, The silencing of Palestinian History. London, 1996.
٢٧.برهان الدين دلو، حضارة مصر والعراق، بيروت، ١٩٨٩.
٢٨.العلامي .م " الحركات الدينية والاجتماعية في فلسطين من القرن الثاني ق.م. إلى القرن الأول الميلادي"، مجلة جامعة الخليل، م٢، العدد الثاني، ٢٠٠٦.
٢٩.الكتاب المقدس